المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام
The International Conference on Mercy in Islam
قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية

منهج الرحمة
لدى الرسول ﷺ مدرسة للتربية السليمة للناشئة

إعداد:
عبدالصمد الرضى

المقدمة

مما لا شك فيه أن شخصية الرسول ﷺ تمثل التطبيق العملي للمنهج التربوي القرآني في أكمل صوره، ولعل من أهم القيم القرآنية الثابتة قيمة «الرحمة» بأمته ﷺ وبالناس، بل وبالعالمين. وأن من تمام الاقتداء بالسنة النبوية السعيُ إلى بث منهج تربوي عميق مبني على الرحمة في الناشئة.

وإذا كانت بعض الدراسات قد لامست موضوع الرحمة في الإسلام بشكل عام، من قبيل مقال: «الرحمة بالصغار من منظور الإسلام» المنشور بموقع للشيخ خالد خليف[١]، وكتاب: «أسباب الرحمة» عبدالله ابن جار الله جار الله[٢]، وبحث: هل كان محمد ﷺ رحيمًا؟ للباحث محمد حسام الدين الخطيب[٣]، وبحث: «معالم الرحمة في تعامل النبي ﷺ مع زوجاته»[٤] وغيرها من الدراسات المتعلقة بالسيرة أو الأخلاق أو التوجيهات العامة، فإن تعميق النظر وتدقيقه فيما يتعلق بالشأن

(١) httpp://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:_gS6RuiPqn3UJ:_www.khalidkholif._net/index.php/201508-27-14-27-51/item/230-2015-08-18-08-34-07+&cd=1&hl=ar&ct=clnk

(٢) httptp://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:_pb1U1iI2rMcJ:_d1.islamhouse._com/data/ar/ih_books/single2/ar_reasons_of_mercy.doc+&cd=3&hl=ar&ct=clnk

(٣) وهو من منشورات رابطة العالم الإسلامي في إطار البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة، مسابقة: مظاهر الرحمة للبشر في شخصية محمد ﷺ

(٤) بحث مقدم بمناسبة المؤتمر الدولي "نبي الرحمة محمد ﷺ المنعقد في الفترة ٢٣-٢٥ شوال ١٤٣١ هـ الموافق ٢-٤ أكتوبر ٢٠١٠.

التربوي «البيداغوجي» المختص بالرحمة عزيز جدا، يكاد يكون نادرا، وتبقى بعض الأسئلة العلمية في هذا الشأن ملحة على الباحثين.

هذا يستدعي من العلماء النظر في دلالات قيمة الرحمة ومقاصدها وأصولها وتجلياتها في المنظومة الإسلامية، كما يتطلب من الخبراء والمستشارين والمشرفين على التكوين في مناهج التربية وأساليبها أن يدركوا حقيقة منهج الرحمة في تربية الرسول ﷺ لأمته، ثم بعد ذلك، لا مناص من تكوين المنفذين للمناهج التربوية على منهج الرحمة في بناء الناشئة.

- ما هي أصول منهج رحمته ﷺ بأمته من خلال المنظومة التربوية الخلقية الإيمانية؟
- كيف كان ﷺ يستثمر كل ظرف للرحمة بأمته من خلال تعهده الدائم لها؟
- كيف يمكن للمربين اليوم النهل من هذه القيمة لتربية الأجيال على خلق الرحمة تحصينا لهم من قيم الكراهية وأساليب العنف التي تعج بها وسائل الإعلام الجديد اليوم، وما يخلفه ذلك من آثار وخيمة على الشباب المسلم؟

للإجابة على هذه الأسئلة الأساسية اخترنا سلوك المنهج الوصفي التحليلي والاستنباطي الاستنتاجي، ونظمنا مجهودنا المقل هذا في:

مقدمة: تتضمن معنى الرحمة ودلالاتها ومقاصدها في تربية النشء.

المبحث الأول: أصول منهج الرحمة لدي الحبيب ﷺ في تربية الناشئة.

المبحث الثاني: معالم هندسة تربوية مبنية على منهج الرحمة من أجل تيسير منهاج دراسي «رحمة في العالمين»

خاتمة: تتضمن أهم الخلاصات والتوصيات

مفهوم الرحمة

يدل لفظ "الرحمة" على معاني الرقّة والتّعطّف والمغفرة، مثله المرْحَمَةُ، ويقال: رَحِمْتُهُ وتَرَحَّمْتُ عليه إذا أشفقت عليه ودعوت الله له بالرحمة. والاسم الرُّحْمى، والرَّحَمُوتُ... والرَّحْمَةُ في بني آدم عند العرب رِقَّةُ القلب وعطفه. ورَحْمَةُ الله: عَطْفُه وإحسانه ورزقه. وأم رُحْم وأُمّ الرُّحْم مكة. وفي حديث مكة: هي أُمُّ رُحْم أَي: أَصل الرَّحْمَةِ. والمَرْحُومَةُ: من أَسماء مدينة سيدنا رسول الله، ﷺ(١).

ومفهوم "الرحمة" في الإسلام مفهوم أصيل واسع الدلالة، جاء في القرآن بصيغة الاسم والمصدر والفعل، وبمعان متعددة، فالرحمة صفة لله ﷻ وصف بها نفسه في كتابه، وبها افتتح ﷻ كلامه.

والرحمة هي القرآن الكريم وتعني الرسول ﷺ والنبوة والمغفرة والعفو. والجنة والنعمة والرزق، والمطر. كما تدل على النصر وإجابة الدعاء والعطف والمودة، والعصمة من الفاحشة والمعصية...(٢).

(١) لسان العرب مادة: رحم.

(٢) جاء ذلك في القرآن الكريم في أكثر من ثمانية وستين ومائتي موضع (٢٦٨)، وتفصيل ذلك أن الرحمة هي القرآن الكريم قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس:٥٨]، الرحمة القرآن. وهو مروي عن الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة. وتعني الرسول ﷺ والنبوة في قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥]، قال علي بن أبي طالب ﷺ: يختص برحمته: أي: بنبوته. والمغفرة والعفو في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]، أي: أنه ﷻ يقبل من عباده الإنابة والتوبة. والجنة قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨]، أي: يطمعون أن يرحمهم الله، فيدخلهم جنته بفضل رحمته إياهم والنعمة والرزق قوله ﷻ: ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ﴾ [الزمر:٣٨]، قال الشوكاني: الرحمة: النعمة والرزق. والمطر قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف:٥٧]. كما تدل على النصر من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب:١٧]، قال القرطبي: أي: خيرًا ونصرًا. وإجابة الدعاء من ذلك قوله ﷻ: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾﴾ [مريم]، قال الشوكاني: يعني إجابته إياه حين دعاه وسأله الولد. والعطف والمودة قال ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]، قال البغوي: متعاطفون متوادون بعضهم لبعض. والعصمة من الفاحشة والمعصية من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٣]، قال ابن كثير: أي: إلا من عصمه الله ﷻ.

ويرتبط معناها بما تدل عليه ألفاظ أخرى قريبة منها كالرفق والأناة والحلم والتؤدة والتيسير والتخفيف واللين مما يمكن اعتباره في سياقات متعددة مرادفًا لها. كما تناقض معاني أخرى كالقسوة والغلظة والعنف والظلم والغضب والعسر والحرج الشديد.

وبهذا فمفهوم «الرحمة» الذي يشمل كل خير ونفع يعود إلى الإنسان في دنياه وآخرته، قال ابن القيم رحمة الله عليه: «إن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح للعبد، وإن كرهتها نفسه وشقت عليه، فهذه هي الرحمة الحقيقية...»[1].

مقدمات أساسية

من خلال ما سبق نخلص إلى مقدمات أساسية نراها نافعة في تحقيق أهداف البحث نذكرها بحسب ما يقتضيه المقام.

المقدمة الأولى: الله ﷻ هو المصدر الأصل للرحمة: قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام:١٣٣]. أي: المالك الأصلي للرحمة، والجزء الأعظم مدخر عنده ﷻ، والأيسر مبثوث في الدنيا، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِئَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ»[2].

المقدمة الثانية: أن سيدنا محمد ﷺ رحمة وتجسيد لرحمة الله ﷻ في خلقه: قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]. وقال عليه السلام في الحديث الشريف: « يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة»[3]، ولقد

(١) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢/١٧٤.

(٢) رواه البخاري صحيح البخاري - كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف - حديث: ٦١١٣. وفي رواية قال ﷺ وسلم: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِئَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْأَسْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ».

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب الإيمان حديث: ٩٧ صححه على شرطهما،=

اقتضت حكمة الله ﷻ أن تكون معاني الرحمة وتجلياتها الرسالية في بشر يعيشون مع الناس ويخالطونهم في كافة شؤون حياتهم هاديين موجهين مرشدين، خاتمهم سيدنا محمد ﷺ الذي اعتبر بحق خير من جسد الرحمة الإلهية وسط أمة هي ملاذ البشرية بعده كانت تتخذه قدوة متبعة.

المقدمة الثالثة: أن المنعم عليهم بالرحمة الإلهية والنبوية أصالة هم المؤمنون ثم باقي الناس: فالله تعالى رحيم بعباده المؤمنين ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، ورسوله ﷺ رؤوف بالمؤمنين رحيم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]. ورحمته ﷻ الخاصة بالمؤمنين تتجلى في رعايتهم والدفاع عنهم وحمايتهم من كيد الظالمين، وينبغي أن تكون الرحمة متعدية للغير عامة الأقرب فالأقرب، ومن لا يرحم لا خير فيه، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ»(١)، بل إن الإيمان متعلق برحمة الناس عامة، فمن لا يتصف بهذه الصفة فلا إيمان له، قال ﷺ: «لَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَرْحَمُوا، قَالُوا كُلُّنَا رَحِيمٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةِ أَحَدِكُمْ صَاحِبَهُ، وَلَكِنَّهَا رَحْمَةُ النَّاسِ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ»(٢).

= ووافقه الذهبي، ورواه ابن سعيد والدارمي عن طريق الأعمش عن أبي صالح مرسلا وسنده صحيح. وعزاه في مجمع الزوائد للبزار والطبراني، وقال: رجال البزار رجال الصحيح. وذكره الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١/٨٠٣

(١) رواه الترمذي. كتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَة عَنْ رَسُول اللَّه ﷺ، قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٢/٦٣٠: رواه أبو داود (٤٩٤١) والترمذيَ (١/٣٥٠) وأحمد (٢/١٦٠) والحميدي (٥٩١) والحاكم (٤/١٥٩) وصححه ووافقه الذهبي، والخطيب في "التاريخ (٣/٢٦٠) وأبو الفتح الخرقي في "الفوائد الملتقطة" (٢٢٢-٢٢٣)، كلهم عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس مولى عبدالله بن عمرو مرفوعًا

(٢) أخرجه الطبراني، ورجاله ثقات. قال ابن حجر في فتح الباري ص٤٥٣: "- كتَاب الْأَدَب - رحمة الناس والبهائم -ص٤٥٣- قَوْلُهُ: (بَابُ رَحْمَة النَّاس وَالْبَهَائم) أَيْ صُدُورُ الرَّحْمَة مِنَ الشَّخْص لغَيْره، وَكَأَنَّهُ أَشَارَ إِلَى حَدِيث ابْن مَسْعُود رَفَعَهُ قَالَ: (لَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَرْحَمُوا ، قَالُوا كُلُّنَا رَحِيمٌ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةِ أَحَدِكُمْ صَاحِبَهُ، وَلَكِنَّهَا رَحْمَةُ النَّاسِ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ) " أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ .

المقدمة الرابعة: أن الرحمة لا تتناقض مع بذل الوسع والاجتهاد: فكونه ﷻ رحمانًا وكون نبيه ﷺ رحيما لا يعني الرخاوة والكسل والترهل، بل من تمام الرحمة تحمل بعض المشاق (المشاق جمع مشقة وتجمع مشقات أيضًا) المقدور عليها في أعمال معينة، وقد يكون الابتلاء وما فيه من أذى رحمة من حيث العاقبة والثمرة، لا من حيث المبتدأ والمنشأ، كما لا يعني التساهل فيما فرض الله ﷻ مما يرى البعض أن فيه قسوة وشدة، بل إن «الشريعة مبناها وأساسها يقوم على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن دخلت فيها بالتأويل»[1]. وهكذا، فإن امتدادات ذلك على الناشئة وكيفيات تربيتها ليشكل رحمة حقيقية، تحتاج من المختصين بذل الوسع في بيانها والاستفادة منها عمليًا في ميادين العناية بالنشء.

مقاصد منهج الرحمة في تربية الناشئة

وعليه، فإن أهم المقاصد التي يروم منهج الرحمة لدى رسول الله ﷺ تحقيقها في الناشئة هي:

- المقصد الأول: حفظ فطرتهم ودعمها بتثبيت أسس التوحيد ومقتضياته القلبية والعقلية والعملية.
- المقصد الثاني: استمرار عمل السابقين في الدنيا ببقاء الولد الصالح، إذ هو من العمل الذي لا ينقطع بالموت، وفي ذلك مسؤولية عظمى على الآباء والمسؤولين عن المناهج التربوية بالنسبة لمجموع الأمة.

(١) إعلام الموقعين ج ٣ ص ٣.

- المقصد الثالث: تحقيق حسن تعامل الناشئة مع زمنهم الذي خلقوا له، إذ التربية النبوية ليست نظرية مجردة، بل هي عمل ميداني واقعي لتحقيق سلامة النشء بما يزوده بحصانة منيعة، من العلم النافع، إزاء الفتن الموجهة ضده، خاصة في زمن صار للتشابك المعلوماتي فيه السبق الأعلى في التأثير.
- المقصد الرابع: تثبيت التماسك الاجتماعي والتهذيب الخلقي للناشئة والمحافظة عليه من الوقوع في الفاحشة.
- المقصد الخامس: إبقاء شريعة الرحمة على الأرض، بتدريب الناشئة بمنهج رحيم على التكاليف الشرعية منذ صباهم، وجعل ذلك من صميم مكونات هويتهم، وسببًا في خيرتهم للناس جميعا.
- المقصد السادس: تحقيق التوازن المطلوب في تربية الناشئة بالتأسيس على الجانب الإيماني الذي يلقي بظلاله على الجوانب العقلية والجسدية.

استنادًا إلى المقدمات السابقة والمقاصد الأساسية، نتلمس أصول منهج الرحمة التربوي من خلال سنة المصطفى الكريم وسيرته ﷺ عمومًا، وفي تربية النشء على وجه الخصوص، ونبذل الوسع في استلهام معالم هندسة تربوية على مستوى التخطيط والتدبير (التنفيذ) والتقويم، مما ييسر على المختصين في الجانب التنفيذي الاشتغال على «منهاج دراسي» يكون رحمة في العالمين.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

المبحث الأول
أصول منهج الرحمة
لدى الحبيب ﷺ في تربية الناشئة

تمهيد:

يختلف خطاب التربية ونهجها وطرائقها بحسب المقصودين به حتى تؤتي أكلها النافع، وثمرها اليانع. وهذا أصل شرعي مكين في تربية الأنبياء لأقوامهم: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم:٤].

وكل النظريات التربوية والتجارب التعليمية تركز التركيز الأكبر على الأطفال باعتبارهم الجهة التي تحمل المشاريع التربوية والحضارية أصالة في الشعوب والأمم. وعلى قدر حسن تربيتهم وتوجيههم، يكونون خير حاملين لرسالة الرحمة التي يتشرفون بالانتماء إليها.

الأصل الأول
الرحمة في التربية الإيمانية

تتجلى معالم منهج الرحمة النبوية في تنشئة الأجيال من حيث الأساس الإيماني في المحافظة على الفطرة السليمة التي يولد عليها المولود ورعايتها

أن تنحرف بفعل المؤثرات الواقعية، فيصفو قلب الطفل إزاء حقائق الإيمان بأركانه الستة المعروفة.[1]، بمنهج تدرجي لطيف من خلال ما يلي:

أولًا: إسماع فطرته كلمة الحق والإخلاص.

كلمة التوحيد وكلمة الإخلاص هي كلمة الفطرة، لذلك حرص الرسول ﷺ أن تكون أول ما يرد السمع بعد الخروج من ظلمات الرحم إلى آفاق الحياة الدنيا، وآخر ما يخرج من الجوف بالحث على تلقين الميت من المؤمنين والمسلمين الكلمة الطيبة وشهادة الحق لتتردد الشهادة في كيان النفس الغاربة عن الدنيا وقت سفرها، عسى أن يُختم لها بالفطرة.. أي: رحمة هذه!؟ وأي: حنو هذا!؟ وأي: رقة هذه!؟. إنه سلوك الأنبياء منذ سيدنا وأبينا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾ [البقرة]، وعند البخاري رحمه الله: «باب الدعاء للصبيان بالبركة».[2]

ولعل من الرحمة الربانية أن قصار السور تتضمن كبرى اليقينيات الإيمانية الفطرية حتى يسهل على النشء حفظها وتمثلها منذ الصبا، وسورتا الإخلاص والكافرون مثالان واضحان على ذلك. ومما لا شك فيه أن من أول اهتمام المصطفى في تبليغ نور النبوة ورحمتها كان بالأطفال، فلقد توجه ﷺ أول ما توجه إلى سيدنا علي بن أبي طالب، ولما يكمل ربيعه العاشر بعد فدعاه للإيمان فآمن به ولازمه. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى شِعَابِ مَكَّةَ، وَخَرَجَ مَعَهُ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مُسْتَخْفِيًا مِنْ أَبِيهِ أَبِي طَالِبٍ... وَذَكَرُوا أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيّ أَيْ بُنَيَّ مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ؟

(١) الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقضاء والقدر خيره وشره من الله ﷻ، ومفتاح ذلك الإيمان بالغيب.
(٢) صحيح البخاري. كتاب الدعوات.

فَقَالَ يَا أَبَت آمَنْتُ بِاللّه وَبِرَسُول اللّه وَصَدّقْته بِمَا جَاءَ به وَصَلّيْت مَعَهُ لِلّهِ وَاتّبَعْته .فَزَعَمُوا أَنّهُ قَالَ لَهُ أَمَا إنّهُ لَمْ يَدْعُك إلّا إلَى خَيْرٍ فَالْزَمْهُ.[1]

ومن عظيم رحمته حرصه ﷺ على ألا تخرج نفس طفل ولو كان يهوديا إلا على كلمة الفطرة، عَنْ أَنَس بْن مَالك، أَنَّ غُلاَمًا يَهُودِيًّا كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَسْلِمْ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيه وَهُوَ جَالِسٌ عِنْدَ رَأْسِه، فَقَالَ لَهُ: أَطِع أَبَا الْقَاسِم قَالَ: فَأَسْلَمَ، قَالَ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عِنْدِه، وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ.[2]

وكذا كان دأب المستنين بسنة المصطفى من صلحاء هذه الأمة، قال ابن القيم: «فإذا كان وقت نطقهم فليلقنوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله ﷻ وتوحيده، وأنه ﷻ فوق عرشه ينظر إليهم ويسمع كلامهم، وهو معهم أينما كانوا ..»[3]

ثانيًا: بث حب الله ﷻ ورسوله ﷺ وآل بيته وأزواجه وذريته وترسيخ معنى التحاب في الله:

حب الله ورسوله ﷺ والحب في الله أحد أهم تجليات قيمة الرحمة. والناشئة في أمس الحاجة لبث هذه الخصلة في قلوبهم بكافة الوسائل حتى تغرس في نفوسهم بذرات اليقين في مراحل أولية من مراحل العمر، وقد نطقت بذلك صحاح الأخبار، من ذلك ما روي عن سيدنا أَنَس رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قَالَ لاَ شَيءَ إِلاَّ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ فَمَا فَرِحْنَا بِشَيءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِي ﷺ: «أَنْتَ

(١) سيرة ابن هشام ٢٤٦/١
(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه، كتاب الجنائز، وصحيح ابن حبان – كتاب السير، باب الذمي والجزية – حديث ٤٩٦٢ .
(٣) ابن القيم. تحفة المودود بأحكام المولود. ص٢٢

مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ.(١)

وكذا حب آل بيته وأزواجه الطاهرات، فقلد علمنا رسول الله ﷺ أن ذلك من أقرب القربات، أخرَج مسلمٌ في صحيحه من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قام خطيبًا في الناس فقال: «أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشَرٌ يوشِكُ أن يأتي رسولُ ربي فأُجيب، وأنا تارك فيكم ثَقَلين: أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنُّور؛ فخُذوا بكتاب الله واستمسكوا به»، فحثَّ على كتاب الله، ورغَّب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكِّرُكم اللهَ في أهل بيتي، أُذكِّرُكم اللهَ في أهل بيتي، أُذكِّرُكم اللهَ في أهل بيتي»(٢).

وقال رسول الله ﷺ فيما يبلغه عن ربه ﷻ «حقت محبتي للمتحابين في، وحقت محبتي للمتواصين في، وحقت محبتي للمتناصحين في، وحقت محبتي للمتزاورين في، وحقت محبتي للمتباذلين في. المتحابون في على منابر من نور، يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء»(٣).

ثالثًا: تعليم الناشئة دوام الذكر والدعاء:

قال عز من قائل يخاطب حبيبه ومصطفاه: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت]. وقال ﷻ في محكم كتابه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب]. وقال له ﷻ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، حديث: ٣٥٠٦

(٢) أخرَج مسلمٌ في صحيحه، كِتَاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ - ليأخذن بالراية غدا رجل يحبه الله ورسوله ﷺ.

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب البر والصلة. حديث: ٧٣٨٤ قال: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

يفصّل المولى الرحيم في هذه الآيات مكانة ذكر الله ﷻ، فهو الأمر الأكبر والأعظم الذي من أجله شرعت العبادات، ويرفع إلى مقام التأسي برسول الله ﷺ، ومن صفات المؤمنين الاطمئنان بذكر الله، فمن لا طمأنينة له بذكر الله لا يستكمل صفات الإيمان، هو غذاء القلب، وحصن المؤمن، وكذا الدعاء هو العبادة.

وتعليم النشء الإكثار من الذكر والدعاء باللسان أولًا في المناسبات المعروفة، ثم على كل حال، ترويض للكيان القلبي ليخلص التوجه لله ﷻ، ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يجتمعون بأبنائهم عند ختم القرآن رجاء بركته عَنْ ثَابِتٍ، أَنَّ أَنَسَ بن مَالِك، كَانَ إِذَا خَتَمَ الْقُرْآنَ جَمَعَ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ، فَدَعَا لَهُمْ.(١)، فعَنِ ابن عباس رضي الله عنهما. قَالَ لِرَجُلٍ: أَلَا أُطْرِفُكَ بِحَدِيثٍ تَفْرَحُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى يَا أَبَا عَبَّاسٍ يَرْحَمُكَ اللَّهُ قَالَ رضي الله عنهما: اقْرَأْ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ، فَاحْفَظْهَا، وَعَلِّمْهَا أَهْلَكَ، وَجَمِيعَ وَلَدِكَ وَصِبْيَانَ بَيْتِكَ، وَجِيرَانَكَ، فَإِنَّهَا الْمُنْجِيَةُ، وَهِيَ الْمُجَادِلَةُ تُجَادِلُ وَتُخَاصِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّهَا لِقَارِئِهَا، وَتَطْلُبُ إِلَى رَبِّهَا أَنْ يُنَجِّيَهُ مِنَ النَّارِ إِذَا كَانَتْ فِي جَوْفِهِ، وينجي الله ﷻ بِهَا صَاحِبَهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

الأصل الثاني
الرحمة في التنشئة على عبادة الله ﷻ

الدين مراتب، إسلام وإيمان وإحسان، ولا يقدر يرقى في معارج الإحسان من لم يطبق الإسلام أولًا، ثم يتحقق بالإيمان، فيكون مهيئًا لعبادة المولى كأنه يراه. ولقد تحدثنا عن الرحمة في تثبيت الركن الأول من الدين.

(١) المعجم الكبير للطبراني. حديث: ٦٧٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: كتاب التفسير، باب الدعاء عند ختم القرآن

وفيما يلي نتلمس منهج الرحمة في التربية على باقي الأركان صلاة وصيامًا وحجًا وزكاة، إذ هي من أهم عناصر الرحموت التي تؤسس لشخصية مؤمنة حقًا وصدقًا. خاصة في المراحل المبكرة من العمر حيث ينفع التمرين والتدريب ليرقى المسلم شابًا مكلفًا على استعداد تام لتحمل مسؤولياته الجسام في هذه الحياة، ولنبسط الأمر كما يلي:

أولًا: الرحمة في اعتياد المساجد وحضور العيدين، وفي الأمر بالصلاة:

المسجد مهبط السكينة والرحمة، واصطحاب الأطفال إليها من أهم البواعث التربوية التي ترسخ رحمة الإسلام في القلوب، فهذا جابر بن سمرة يحدثنا عن طفولته وصحبته لرسول الله ﷺ، فعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَلاَةَ (أي: صلاة الصبح) الأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِه، وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي، قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا، أَوْ رِيحًا، كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ[1].

وقد طلب الرسول ﷺ من أئمة المساجد أن يخففوا من الصلاة رأفة بالأطفال عندأخذهم إلى المسجد، لا بطردهم من المساجد كما يفعل كثيرون، فعَنْ أَبِى مَسْعُودٍ الأَنْصَارِىِّ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا. فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ فَقَالَ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ »[2].

ومما أودع الله ﷻ في قلوب الآباء من الرحمة ابتغاؤهم صلاح أولادهم،

(١) صحيح مسلم. كتاب الفضائل. باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه والتبرك - حديث: ٤٣٩٩.
(٢) صحيح مسلم. كتاب الصلاة. باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام - حديث: ٧٤٢.

لذلك من الرحمة أمرهم بالطاعات أمرًا مشجعًا، واحتفاءًا محفزًا بتوجيه الولد لإقامة الصلاة[١] وذلك في بداية وعيه وإبان إدراكه بدايات التعلمات، فلقد وجه النبي ﷺ إلى أمر الصبية بالصلاة عند بلوغهم السنة السابعة[٢].

ولقد كان الحبيب المصطفى ﷺ يصحح أخطاءهم بلطف، فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: رَأَى النَّبِيُّ ﷺ غُلَامًا لَنَا يُقَالُ لَهُ: أَفْلَحُ، يَنْفُخُ إِذَا سَجَدَ، فَقَالَ: «يَا أَفْلَحُ، تَرِبَ وَجْهُكَ»[٣]

وسار الصحابة على منهج النبوة، فبدأوا بتعليم أطفالهم بأنفسهم، فهذا علي رضي الله عنه يدعو الحسين ليعلمه كيفية الوضوء، ويجيبه على استفساراته، فعن الْحُسَيْنَ بْن علي قَالَ دَعَانِي أَبِي عَلِي بِوَضُوءٍ فَقَرَّبْتُهُ لَهُ فَبَدَأَ فَغَسَلَ كَفَّيْه ثَلَاثَ مَرَّات قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهُمَا فِي وَضُوئِه ثُمَّ مَضْمَضَ ثَلَاثًا وَاسْتَنْثَرَ ثَلَاثًا ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَّات ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلَاثًا ثُمَّ الْيُسْرَى كَذَلِكَ ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِه مَسْحَةً وَاحِدَةً ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثَلَاثًا ثُمَّ الْيُسْرَى كَذَلِكَ ثُمَّ قَامَ قَائِمًا فَقَالَ نَاوِلْنِي فَنَاوَلْتُهُ الإِنَاءَ الَّذِي فِيه فَضْلُ وَضُوئِه فَشَرِبَ مِنْ فَضْلِ وَضُوئِه قَائِمًا فَعَجِبْتُ فَلَمَّا رَآنِي قَالَ لَا تَعْجَبْ فَإِنِّي رَأَيْتُ أَبَاكَ النَّبِيَّ ﷺ يَصْنَعُ مِثْلَ مَا رَأَيْتَنِي صَنَعْتُ يَقُولُ لِوُضُوئِه هَذَا وَشُرْبِ فَضْلِ وَضُوئِه قَائِمًا.[٤]

(١) من التجارب المفيدة تنظيم حفلات في المؤسسات التعليمية بسن السنة السابعة واعتباره يومًا احتفاليا بالصلاة.

(٢) عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيه، عَنْ جَدِّه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ.وسنده حسن، واشتهر عند المحدثين والفقهاء، واحتجوا به، وشهرته كافية، وسلسلة عمرو بن شعيب الأصل فيها القبول لأنها من الحسن المشهور إلا ما استُثني، والحديث صححه الترمذي في بعض النسخ وقال: "العمل عليه عند أهل العلم" والله الموفق.

(٣) . سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في كراهية النفخ في الصلاة، ومسند أحمد، حديث أم سلمة – رقم الحديث: (٢٥٣٦٠)، وينظر أيضًا – تمام المنة –في التعليق على فقه السنة محمد ناصر الألباني ص: (٣١٣) قال: رواه أحمد بإسناد جيد.

(٤) صحيح مسلم.كتاب الطهارة. باب صفة الوضوء وكماله – حديث: ٣٥٧.

ثانيًا: في التربية على الصوم:

رمضان أوله رحمة، وهو هامة في إحداث التغيير السريع في السلوك، وللصوم آثار عظيمة في بناء شخصية الطفل: «والدربة على التحكم في انفعالاته وضبط غرائزه ونزواته، وتربية روح الاحتمال والصبر لديه، وتفجير معاني العطف والشفقة والرفق والخير في نفسه، وتحريك مشاركته الوجدانية الصادقة للآخرين وإعانة المحتاجين منهم والمعوزين»[1]. ومن رحمة الصحابة بأطفالهم أنهم يلاعبونهم أثناء الصوم حتى لا يشعروا بالإرهاق والتعب، فعَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ ابْنِ عَفْرَاءَ، قَالَتْ: أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الْأَنْصَارِ الَّتِي حَوْلَ الْمَدِينَةِ: مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلْيَصُمْ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ذَلِكَ، قَالَتْ: فَكُنَّا نَصُومُهُ وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا الصِّغَارَ وَنَذْهَبُ بِهِمْ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهَا إِيَّاهُ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الإِفْطَارِ[2]. كما كانوا يجمعونهم، ويدعون الله ﷻ عند الإفطار، رجاء استجابة الدعاء، في تلك اللحظة المباركة.

ثالثًا: البذل والصدقة:

تعويد للنشء على البذل والعطاء أسلوبًا مهمًا في محاربة خلق الشح من نفس الناشئة وكذا أحد أهم أبواب الفلاح ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن:١٦] وتلك لأيم الله لرحمة عميقة، إنها منهاج تربوي وعلاج عملي أصيل لضعف النفس، وتطهيرها من داء الشح والأثرة وعبادة المال[3]. وللصدقة عجائب في رد المصائب عن الناس.

(١) الزنتاني، عبدالحميد الصيد، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ص ١٣٧-١٣٨.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم. باب صوم الصبيان- حديث: ١٨٧٣.
(٣) سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص٢٩١

رابعًا: في تعليم مناسك الحج:

أصل مشروعية الحج رحمة الوالد بولده وطاعة الولد لوالده، سيدنا اسماعيل وسيدنا إبراهيم واسماعيل عليهم السلام اللذين تشرفا بإعادة رفع البيت من قواعده الأصلية، في البقعة المباركة حيث تضاعف الحسنات، وتتنزل الرحمات، سبب الأمان في الدنيا والآخرة. لذا كان ﷺ يربي الأطفال ويعلمهم أثناء الحج بخطاب رحيم فعال، فعن ابْنَ عَبَّاس، قَالَ: كَانَ فُلاَنٌ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ، قَالَ: فَجَعَلَ الْفَتَى يُلاحِظُ النِّسَاءَ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ، قَالَ: وَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَهُ بِيَدِهِ مِنْ خَلْفِهِ مِرَارًا، قَالَ: وَجَعَلَ الْفَتَى يُلاحِظُ إِلَيْهِنَّ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ابْنَ أَخِي، إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مَنْ مَلَكَ فِيهِ سَمْعَهُ، وَبَصَرَهُ، وَلِسَانَهُ، غُفِرَ لَهُ»[1].

إن النشوء في رحمة التربية النبوية على العبادات منجاة للمرء في شبابه من الفتن التي تهدد كيانه المعنوي وفطرته الكامنة، وهويته الإيمانية، وإن الله ﷻ ليعجب ممن أمضى شبابه في طاعة الله ﷻ يوم لا ظل إلا ظله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»[2]. فما بالك من الشباب المرحوم برحمة التقوى في هذا العصر.

(١) رواه أحمد بسند صحيح مسند أحمد بن حنبل. انظر: «بشارة المحبوب بتكفير الذنوب»المؤلف: القابوني

(٢) أخرجه البخاري ومسلم

الأصل الثالث
الرحمة في التربية العاطفية

تمهيد:

الرحمة هي مركز العواطف الإيجابية في بناء شخصية الناشئة، من خلالها يتشكل النسيج العاطفي المشع في المجتمع، ويرقى بالعلاقات العاطفية إلى مستوى إحساني رفيع يتعدى فضله المجتمع المسلم ليؤثر في الإنسانية عامة. ولنحن في أمس الحاجة إلى جيل رحيم بنفسه وبالعالم من حوله. من أجل كل ذلك اعتنى الرسول ﷺ أيما عناية بهذا الجانب في حياة الناشئة، يتجلى ذلك من خلال:

أولًا: البشاشة وحسن الاستقبال والقبلة والعناق:

الوجه الطلق الباش، والابتسامة الحانية والقبلة الرحيمة رسائل أولية فعالة في إيقاظ مشاعر الخير والحب لدى الطفل ومحاربة شعوره بالإحباط والقنوط واليأس، وكل ذلك نور ساطع من مشكاة الرحمة الثابتة عن المصطفى ﷺ مع الناشئة، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلُقِّيَ بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ: وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسُبِقَ بِي إِلَيْهِ فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ فَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ قَالَ: فَأُدْخِلْنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةً عَلَى دَابَّةٍ». قال الإمام النووي رحمه الله: «هذه سنة مستحبة أن يتلقى الصبيان المسافر، وأن يركبهم، وأن يردفهم، ويلاطفهم، والله أعلم»[1].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَأَعْطَتْهَا عَائِشَةُ ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ صَبِيٍّ لَهَا تَمْرَةً، وَأَمْسَكَتْ لِنَفْسِهَا تَمْرَةً، فَأَكَلَ الصَّبِيَّانُ التَّمْرَتَيْنِ وَنَظَرَا إِلَى أُمِّهِمَا، فَعَمَدَتْ إِلَى التَّمْرَةِ فَشَقَّتْهَا،

(١) صحيح مسلم. كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم. باب فضائل عبدالله بن جعفر رضي الله عنه. حديث: ٤٥٥٩

فَأَعْطَتْ كُلَّ صَبِيٍّ نِصْفَ تَمْرَةٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ فَقَالَ: «وَمَا يُعْجِبُكَ مِنْ ذَلِكَ؟ لَقَدْ رَحِمَهَا اللَّهُ بِرَحْمَتِهَا صَبِيَّيْهَا»[1]

ثانيًا: مداعبة الصغار وممازحتهم ومهاداتهم[2]:

المعاني العاطفية تنساب إلى النفوس من خلال التطبيق العملي المناسب للمستوى العمري للمعني بذلك، ومن مظاهر الرحمة بالناشئة أن تلاعبهم بما يحبون كالركض، والتلطف في النطق بالاسم والممازحة وغير ذلك، فعَنْ يَعْلَى بن مُرَّةَ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدُعِينَا إِلَى طَعَامٍ، فَإِذَا الْحُسَيْنُ يَلْعَبُ فِي الطَّرِيقِ، فَأَسْرَعَ النَّبِيُّ ﷺ أَمَامَ الْقَوْمِ، ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ حُسَيْنٌ يَمُرُّ مَرَّةً هَهُنَا وَمَرَّةً هَهُنَا يُضَاحِكُهُ حَتَّى أَخَذَهُ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ فِي ذَقَنِهِ وَالأُخْرَى بَيْنَ رَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ، ثُمَّ اعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: حُسَيْنٌ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُ أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سِبْطَانِ مِنَ الأَسْبَاطِ[3].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ وَلَهَا ابْنٌ مِنْ أَبِي طَلْحَةَ يُكْنَى أَبَا عُمَيْرٍ، وَكَانَ يُمَازِحُهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَرَآهُ حَزِينًا، فَقَالَ: مَالِي أَرَى أَبَا عُمَيْرٍ حَزِينًا؟ فَقَالُوا: مَاتَ نُغَرُهُ الَّذِي كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ: أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ[4].

قَال الحافظ ابْنُ حَجَرٍ: «وفيه جواز الممازحة وتكرير المزح وأنها إباحة سنة لا رخصة، وأن ممازحة الصبي الذي لم يميز جائزة، وتكرير

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (رقم ٨٩)، والحاكم (١٩٦/٤ رقم ٧٣٤٩) وصححه. وكذا صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (رقم ٨٩)

(٢) لا بأس هنا من الاستفادة من الحكمة البشرية فيما يسمى «بيداغوجيا اللعب، والمقصود به استغلال أنشطة اللعب في اكتساب المعرفة وتوسيع آفاقهم المعرفية، وشحذ همهم واكتشاف قدراتهم،، ويعرف أيضًا، ومن أهداف اللعب البيداغوجي بناء مجموعة من التعلمات بطريقة مسلية بهدف تنمية مهارات وقدرات عقلية وجسمية ووجدانية قابلة للتقييم، على أن يرتبط ذلك بالوسائل لا الغايات.

(٣) المعجم الكبير للطبراني - باب الياء. من اسمه يعلى - يعلى بن مرة العامري. حديث: ١٨٥٢٩.

(٤) صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب الانبساط إلى الناس - حديث: ٥٧٨٣

زيارة الممزوح معه. وفيه ترك التكبر والترفع، والفرق بين كون الكبير في الطريق فيتواقر أو في البيت فيمزح»[1].

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: إِنْ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ لَيَأْخُذُنِي وَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَى الْأُخْرَى ثُمَّ يَضُمُّنَا ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا»[2]. قال الإمام ابن بطال رحمه الله في شرح البخاري: «رحمة الولد الصغير ومعانقته وتقبيله والرفق به من الأعمال التي يرضاها الله ويجازى عليها، ألا ترى قوله عليه السلام للأقرع بن حابس حين ذكر عند النبي أن له عشرة من الولد ما قبل منهم أحدًا: «من لا يرحم لا يرحم»[3]، فدل أن تقبيل الولد الصغير وحمله والتحفي به مما يستحق به رحمة الله، ألا ترى حمل النبي عليه السلام أمامة ابنة أبي العاص على عنقه في الصلاة، والصلاة أفضل الأعمال عند الله، وقد أمر عليه السلام بلزوم الخشوع فيها والإقبال عليها، ولم يكن حمله لها مما يضاد الخشوع المأمور به فيها، وكره أن يشق عليها لو تركها ولم يحملها في الصلاة وفي فعله عليه السلام ذلك أعظم أسوة لنا، فينبغي الاقتداء به في رحمته صغار الولد وكبارهم والرفق بهم، ويجوز تقبيل الولد الصغير في سائر جسده... وأما تقبيل كبار الولد وسائر الأهل فقد رخص في ذلك العلماء، قال أشهب: سئل مالك عن الذي يقدم من سفره فتلقاه ابنته تقبله أو أخته أو أهل بيته؟ قال: لا بأس بذلك، وهذا على وجه الرقة وليس على وجه اللذة، وقد كان عليه السلام يقبل ولده وبخاصة فاطمة، وكان أبو بكر يقبل عائشة، وقد فعل ذلك أكثر أصحاب النبي عليه السلام وذلك على وجه الرحمة».[4]

واقتدى الصحابة رضي الله عنهم برسول الله ﷺ، فسارعوا إلى ممازحة ومداعبة

(١) فتح الباري ١٠/٥٨٤ - ط. مكتبة الرياض الحديثة.
(٢) صحيح البخاري، باب وضع الصبي على الفخذ
(٣) متفق عليه
(٤) ابن بطال شرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

أطفالهم، وكانوا ينزلون إلى منازلهم، ويتصابون لهم، ويلاعبونهم. ولقد سنَّ رسول الله ﷺ قاعدة للحب بين الناس، فنصح الأمة بقوله: «تَهَادُوا تَحَابُّوا»[1]، وبين ذلك عمليًّا في بناء عاطفة الطفل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُؤْتَى بِأَوَّلِ الثَّمَرِ فَيَقُولُ « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِى مَدِينَتِنَا وَفِى ثِمَارِنَا وَفِى مُدِّنَا وَفِى صَاعِنَا بَرَكَةً مَعَ بَرَكَةٍ». ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْوِلْدَانِ[2].

ثالثا: المسح على رأس الطفل وتفقد أحواله خاصة إذا كان يتيما:

كان ﷺ يمسح بيده الشريفة على رؤوس الأطفال من الصحابة فيشعرهم بلذة الرحمة والحنان والحب والعطف، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَزُورُ الأَنْصَارَ، وَيُسَلِّمُ عَلَى صِبْيَانِهِمْ، وَيَمْسَحُ رُؤُوسَهُمْ.[3]

الأصل الرابع
الرحمة في التربية على طلب العلم

طلب العلم فرض أكيد على كل مسلم ومسلمة، لا حد له ولا حد للسن اللازم فيه، فضله عظيم وهو ومن أهم أبوابها: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ

(١) السنن الكبرى للبيهقي - كتاب الهبات. باب التحريض على الهبة والهدية صلة بين الناس.- حديث: ١١١٦٠. والحديث حسّنه الألباني في صحيح الجامع ٣٠٠٤.

(٢) صحيح مسلم - كتاب الحج. باب فضل المدينة. حديث: ٢٥١٦.

(٣) صحيح ابن حبان. كتاب البر والإحسان. باب الرحمة. ذكر ما يستحب للمرء استعمال التعطف على صغار أولاد آدم. حديث: ٤٦٠. قَالَ مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ صُعَيْرِ بْنِ أَبِي صُعَيْرٍ الْعَدَوِيُّ وُلِدَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِأَرْبَعِ سِنِينَ، وَحُمِلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَبَرَّكَ عَلَيْهِ عَامَ الْفَتْحِ، وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَتُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَعْلَبَةَ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ سَنَةَ تِسْعَ وَثَمَانِينَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً». والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٢٧٨، ٢١١٢.

أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ [غافر:٧-٨]، إنها رحمة طلب العلم تتجلى في كونها تعالج النشء من كيانه الداخلي ليكتسب المعرفة وحب التعلم والعلماء، وتجليات هذه الرحمة كما يلي:

أولًا: التعليم حق للصغار واجب على الكبار:

العلم والتعلم رحمة، والجهل والجهالة عذاب، والنبي ﷺ أسس أصلا أصيلا وركنا ركينا في الباب، فجعل طلب العلم فريضة لا مناص منها رحمة بالناشئة وهداية لها، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»(١).

والتعلم في مرحلة الطفولة والشباب أبلغ في البقاء وأدوم للنفع، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ فِي شَبِيبَتِهِ اخْتَلَطَ الْقُرْآنُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ، وَمَنْ تَعَلَّمَهُ فِي كِبَرِهِ فَهُوَ يَنْفَلِتُ مِنْهُ وَلَا يَتْرُكُهُ، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ»(٢).

ولقد أدرك الصحب الكرام هذه الحقيقة فصاروا على هذا النهج، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: «قَدِّمُوا إِلَيْنَا أَحْدَاثَكُمْ، فَإِنَّهُمْ أَفْرَغُ قُلُوبًا وَأَحْفَظُ لِمَا سَمِعُوا، فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُتِمَّ ذَلِكَ لَهُ أَتَمَّهُ»(٣). وعن هِشَامَ بْنِ عُرْوَةَ، قَالَ: كَانَ أَبِي يَقُولُ: «أَيَّ شَيْءٍ تَعَلَّمُوا فَإِنَّكُمُ الْيَوْمَ صِغَارٌ، وَتُوشِكُونَ أَنْ تَكُونُوا كِبَارًا، وَإِنَّمَا تَعَلَّمْنَا صِغَارًا وَأَصْبَحْنَا كِبَارًا، وَصِرْنَا الْيَوْمَ نُسَاءَلُ»(٤).

(١) سنن ابن ماجه -المقدمة. باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ- باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. حديث: ٢٢٢، والحديث حسنه السيوطي، وصححه السيوطي، أفرد لذلك كتابا بعنوان: جزء فيه طرف حديث: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» ضبط وتعليق علي حسن علي عبدالحميد

(٢) أخرجه البخاري في تاريخه الكبير بلفظ: «من حفظ القرءان وهو فتي السن خلطه الله بلحمه ودمه»

(٣) الخطيب البغدادي. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. من كان يخص بالتحديث الشبان ويؤثرهم على المشايخ وذوي الأسنان. حديث: ٦٨٣.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد - عمرة بنت عبدالرحمن. حديث: ٢٥٠٨.

وَرُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب ﷺ قَالَ: «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَتَزَيَّنُوا مَعَهُ بِالْوَقَارِ وَالْحِلْمِ وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ وَلِمَنْ تُعَلِّمُونَهُ، وَلَا تَكُونُوا جَبَابِرَةَ الْعُلَمَاءِ فَيُذْهِبَ بَاطِلُكُمْ حَقَّكُمْ»(١).

ثانيًا: إتقان الناشئة اللغة العربية ولغات أجنبية:

اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم الرحمة العامة، يتعبد بتلاوته بها، كان لا بد من امتلاك ناصيتها، وإدراك الضروري منها، وإلا فلا رحمة بدونها. ولقد حرص النبي ﷺ على تعليمها للناشئة منذ البدايات الأولى لتثبيت المجتمع المسلم الناشئ في المدينة المنورة، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ نَاسٌ مِنَ الأُسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ لَيْسَ لَهُمْ فِدَاءٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلاَدَ الأَنْصَارِ الْكِتَابَةَ.(٢).

وكان الخلفاء ﷺ متحفزين لحماية اللغة العربية من التمازج الألسني، وغلبة العجمة، فهذا علي بن أبي طالب ﷺ، طالب العلماء بوضع القواعد الأساسية للعربية وتعليمها للأطفال، خشية حتى لا تستعجم ألسنتهم. وقد كان الإمام الشافعي رحمه الله وهو صغير يتعلم من القبائل العربية حيث رحل إليها، وعاش معها، ولهذا كان فصيح اللسان، وعمدة اللغة العربية بين العلماء.

ومن المستحبات الأكيدة، إن لم نقل إنه من فروض الكفايات لا بد من إتقانه لغة أجنبية سائدة، كما هو في الظروف الراهنة، فقد تبقى الناشئة مهمشة إن لم تتعلم لغة العلوم اليوم اللغة الإنجليزية، حتى يتسنى الإفادة من الحضارات الأخرى، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ أول ما وصل إلى

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر، بَابٌ جَامِعٌ فِي آدَابِ الْعَالِمِ وَالْمُتَعَلِّمِ...
(٢) مسند أحمد - وَمِنْ مُسْنَدِ بَنِي هَاشِمٍ - مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
السنن الكبرى للبيهقي - كتاب قسم الفيء والغنيمة. جماع أبواب تفريق القسم. باب ما جاء في مفاداة الرجال منهم بالمال. حديث: ١٢٠١٤.

المدينة المنورة مهاجرًا من مكة، عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ، أَنَّ أَبَاهُ زَيْدًا، أَخْبَرَهُ ؛ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، قَالَ زَيْدٌ: ذُهِبَ بِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأُعْجِبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، وَقَالَ: يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ، مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ[1].

وتعلم زيد بن ثابت لغة يهود في خمس عشرة يومًا يدل على ذكاء مفرط، وقوة حافظة، وقد كان ﷺ ممن حفظ القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ، ومن أشهر كتاب الوحي بين يديه، وهو الذي تولى كتابة القرآن وحده في الصحف في عهد الصديق، وكان أحد كاتبي المصاحف في عهد عثمان ﷺ.

ثم إن اللّغاتَ اليوم مفتاحُ العلوم الكونية التي أصبحَتْ ضروريةً، لمُجاراة العَجَم والفَرَنجة، والترقي بين الأمم، وصارت مفتاحًا للتعارُف الذي أصبح ضروريًا للعيش وأمنِ الإنسان على حقوقه حين الاختلاط، وللشيخ صفي الدين الحلّي وهو ممن كان يحفَظُ عِدّة لُغات:

بقَــدْرِ لُغــاتِ المـرءِ يَكثُرُ نفعُـهُ ... وتلك له عندَ المُلِمّــاتِ أعــوانُ

فبادِرْ إلى حفظِ اللغاتِ مُسارعًا ... فكلُّ لِسانٍ في الحقيقةِ إنسانُ[2]

ثالثًا: اكتشاف ميول الناشئة وتوجيههم وفقهًا:

لا بد من توجيه الطفل حسب ميوله العلمية، لأنه أدعى لتمكن العلم

(١) مسند أحمد » مسند الأنصار ﷺ » حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ

(٢) الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم لأبي غدة - (١/ ١٧١) والأساليب النبوية في التعليم - ط١ - (١/ ٥١٧)

من نفسه، وبراعته به، وتفوقه على أقرانه، وقد قرر هذا أيضًا علماء السلف الصالح رضي الله عنهم، وذلك لحسن البيان وتيسيره للأقوام العجمية، مع أنه ينبغي بذل الوسع في تعليم المرحومين بالإسلام من حديثي العهد به لغة القرآن الكريم.

وَذُكِرَ أن الْخَلِيلُ (الفراهيديُّ) اشْتَغَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فِي الْعُرُوضِ، قَالَ: وَكَانَ بَعِيدَ الْفَهْمِ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: كَيْفَ تُقَطِّعُ هَذَا الْبَيْتَ؟ إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعْهُ وَجَاوِزْهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ، فَشَرَعَ مَعِي فِي تَقْطِيعِهِ عَلَى قَدْرِ مَعْرِفَتِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ مِنْ عِنْدِي فَلَمْ يَعُدْ إِلَيَّ، وَكَأَنَّهُ فَهِمَ مَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ[1].

الأصل الخامس
الرحمة في التربية المدنية الاجتماعية (الدعوية التواصلية)

البنية الاجتماعية السليمة مبنية على التراحم والتآزر والتعاون، وتلك لعمري خصلة ضرورية للبناء السليم للحس المجتمعي لدى الناشئة، ومقولات العصر تسمي ذلك «تربية مدنية»، وذلك نظرًا لما عرفته الطفولة عندهم من أمراض نفسية نتيجة التركيبة الاجتماعية المشبعة بالقوانين عند البعض والقسوة عند آخرين أكثر من العاطفة الرحيمة، وهي عندنا تربية على الاندماج الإيماني الإيجابي الفاعل في المجتمع والناس. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، ومن خلال التأمل في منهج الرحمة النبوية نجد هناك أمورًا خصها الرسول ﷺ في تكوين الناشئة بالعناية الأساسية في هذا المجال، وعلى رأسها:

(١) ابن كثير. البداية والنهاية. ص ٥٦٥.

صحبة الناشئة في مجالس الكبار وأنشطتهم الاجتماعية:

إذ كانوا يحضرون مجالس النبي ﷺ، صحبة آبائهم، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ «أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشْبِهُ أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ لاَ يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا وَلاَ وَلاَ وَلاَ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ». قَالَ ابْنُ عُمَرَ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لاَ يَتَكَلَّمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، فَلَمَّا لَمْ يَقُولُوا شَيْئًا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ النَّخْلَةُ». فَلَمَّا قُمْنَا قُلْتُ لِعُمَرَ: يَا أَبَتَاهُ وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ. فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكَلَّمَ. قَالَ: لَمْ أَرَكُمْ تَكَلَّمُونَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا. قَالَ عُمَرُ: لأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا»[1].

وعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمْ أَسْمَعْهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلاَّ حَدِيثًا وَاحِدًا، قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأُتِيَ بِجُمَّارٍ فَقَالَ «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً مَثَلُهَا كَمَثَلِ الْمُسْلِمِ». فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ، فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ فَسَكَتُّ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هِيَ النَّخْلَةُ»[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلاَ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاَنًا مَرِضَ، فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي؟ وَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ عَبْدِي فُلاَنًا اسْتَطْعَمَكَ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»[3]

(١) صحيح البخاري – كتاب العلم. باب الفهم في العلم
(٢) نفسه
(٣) صحيح مسلم – كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ – من عاد مريضا لم يزل في خرفة الجنة قيل يا رسول

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ يَخُوضُ الرَّحْمَةَ حَتَّى يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ، غُمِرَ فِيهَا[1].

فهذان الحديثان يبرزان أهمية التربية عى الرحمة في بعدها الاجتماعي، بزيارة المرضى والتخفيف عنهم ومواساتهم، وهو خلق ينبغي أن ينشَّأ عليه أطفال المسلمين منذ الصبا.

الأصل السادس
الرحمة في التربية الجنسية

خلق الله ﷻ الدافع الجنسيُّ في النفس البشرية ليكون سببًا في استمرار النوع الإنساني، خليفة الله في الأرض، وسمَّى الشرع الحنيف هذا السنَّ بسنِّ التكليف، أي: بدخول الطفل هذا السنَّ يصبح مسؤولًا عن تصرفاته محاسبًا على أعماله.

ولتحقيق التوازن المطلوب في بناء الوعي الجنسيُّ في نفس الطفل، وتمكينه من التحكم في هذا الدافع، احتاج الأمر إلى كثير من الرحمة، لا الاندفاع لفتح الأبواب مشرعة أمام الهيجان الجنسي كما تعج به وسائل الإعلام اليوم، فعلى عكس التربية المسيحية، لم ينكر الإسلام على الإنسان هذه الرغبة، بل اعترف بها وانتقل بالناشئة انتقالا رحيمًا إلى مراحل النضج الراشد بإذن الله ﷻ، وفي هذا المجال ربى النبي ﷺ أصحابه كبارًا وصغارًا على خصلتين هامتين بهما تميزت حضارة المسلمين هما خصلتا الحياء والستر، وهما مقصودان اليوم بالهتك من قبل النظريات التربوية «المتحررة» من كل ضابط، هاتان الخصلتان تتموان مع النشء نموا اندماجيا.

الله وما خرفة الجنة؟ قال: جناها.

(١) المنتقى شرح موطأ مالك - كِتَاب الْجَامِعِ - باب العين والمرض - عيادة المريض.

أولًا: تربية الطفل على غض البصر، وستر العورة:

يتربى النشء على ستر العورة منذ تمييزه بين الشمال واليمين، فهو وقت ابتداء تعلم القرآن الكريم، ثم يدرك المعاني الأولية لستر العورة عند الأمر بالصلاة، إذ ينبغي تعويده على اللباس الساتر لعورته، فنشأ على حب الستر، ذكرًا كان أو أنثى، فالصبي يلبس ما يستر عورته، والبنت تبدأ بحجاب الصلاة، وتتعوَّد شيئًا فشيئًا على الحجاب، وهكذا ينشأ مستقيمًا صالحًا مهذبة نفسه، قويمة أخلاقه. قويًا في إيمانه إن البصر هو نافذة الطفل على العالم الخارجي، فما تراه عيناه ينطبع في ذهنه ونفسه، وذاكرته بسرعة فائقة، فإذا تعوَّد غضَّ البصر عن العورات كافة المنزلية والخارجية، مستعينًا بمراقبة الله ﷻ له، عَنْ أَبِى رَيْحَانَةَ: أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِى غَزْوَةٍ فَسَمِعَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ يَقُولُ: «حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ سَهِرَتْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ، وَحُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ دَمَعَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ». قَالَ: وَقَالَ الثَّالِثَةَ فَنَسِيتُهَا. قَالَ أَبُو شُرَيْحٍ سَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ ذَاكَ: «حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، أَوْ عَيْنٍ فُقِئَتْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»(١).

وقد يتهاون الناشئ أحيانًا، وينسى أخرى، ويغلبه هواه في لحظة ما، فيرسل بصره نحو الفتيات بشهوة وتلذذ، فماذا فعل رسول الله ﷺ في مثل هذ الموطن؟ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ كَانَ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، وَكَانَ الْفَتَى يُلَاحِظُ النِّسَاءَ.قَالَ: فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْرِفُ بَصَرَهُ وَيَقُولُ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مَنْ مَلَكَ سَمْعَهُ إِلَّا مِنْ حَقٍّ، وَبَصَرَهُ إِلَّا مِنْ حَقٍّ، وَلِسَانَهُ إِلَّا مِنْ حَقٍّ ؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»(٢).

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم.كتاب الجهاد. قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»٢٢٣٢

(٢) أخبار مكة للفاكهي. ذكر فضل يوم عرفة على سائر الأيام وفضل أهل عرفة. حديث: ٢٦٩٤

ثانيًا: التربية على خلق العفة، مع التنبيه إلى خطر الفاحشة وعذابها:

من أسباب الانحراف الخطيرة، ومن أشد مهيجات الفتن في هذا الباب ما تحمله الآلة الإعلامية الجديدة من وابل عاصف من الصور ومقاطع الفيديو وأساليب الخطاب السمعي والبصري الذي يقتل كل خصلة حياء أو ستر في نفوس الناشئة، وذلك أبعد ما يكون عن رحمة الوعي بالوظائف الجنسية الذي يرشد للمهمة الرسالية التي من أجلها خلق الإنسان.

فليس العيب أن يشعر الفتى بالرغبة في التصريف الجنسي، ولكن العيب في أن يكون لذلك تداعيات خطيرة على ذات الفتى ومجتمعه، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ. فَقَالَ: ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ: لاَ، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لاَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ قَالَ: لاَ، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لاَ، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لاَ، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ. قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ. هم»، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ كَفِّرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ»[1].

(١) مسند أحمد بن حنبل. مسند الأنصار. حديث أبي أمامة الباهلي. حديث: ٢١٦٢٥

المبحث الثاني
معالم هندسة تربوية مبنية على منهج الرحمة

أو من أجل تيسير منهاج دراسي «رحمة في العالمين».

إذا كانت الرحمة النبوية في تربية النشء شاملة لجوانب عديدة من بناء شخصية الطفل، وذات أصول واضحة في منهج التربية النبوية كما بينا ذلك في المبحث السابق، فإن هذه الأصول تتطلب منا التطوير من حيث التنزيل العملي في واقع المسلمين اليوم.

نحن بأمس الحاجة لهندسة تربوية تعليمية مبنية على أصول الرحمة، ومتجلية في المنهاج الدراسي المختار من قبل الجهات الملقاة على عاتقها هذه المسؤولية في البلدان الإسلامية ابتداء، وفيما بين المسلمين القاطنين في بلدان غير المسلمين، سواء باعتبارهم مواطنين أصليين أو مهاجرين، لأن الرحمة الإلهية النبوية لا تحصر في شيء ولا بشيء، إنها رحمة الله المهداة للعالمين.

يتطلب منا ذلك بذل الوسع في وضع معالم هندسة تربوية "رحمة في العالمين"، سواء من حيث التخطيط أو التدبير أو التقويم.

نتوكل على الله ﷻ واضعين أهم المعالم حسب ما وسعنا الجهد. ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمًا، فافتح لنا في معالم تكون منطلق مشاريع بحثية جادة حاديها ومنطلقها وغايتها أن تعم رحمة الإسلام العالم كله.

- المعلم الأول: في تخطيط المناهج الدراسية (من خبراء البرامج إلى منفذيها مع الناشئة)
- المعلم الثاني: في تدبير أو تنفيذ المناهج الدراسية
- المعلم الثالث: في تقويم البرامج

المعلم الأول
في تخطيط المناهج والبرامج الدراسية

التخطيط هو إعداد خطة لبلوغ الأهداف المتوخاة باختيار الوسائل المناسبة وهيكلته وجدولة الوقت الخاص بإنجازها وتدبيرها فيما بعد[1].

ويشمل التخطيط التربوي جميع فترات التربية بدءًا من فترة ما قبل المدرسة الابتدائية، مرورًا بشتى مراحل التربية والتعليم في مختلف صوره وأشكاله النظامية وغير النظامية، بل ويتعدى ذلك إلى جميع فئات المجتمع التربوي. من مناهج وطرائق التدريس وإعداد المعلمين والوسائل التكنولوجية والتعليمية وغيرها، استحضارًا للصورة المتوقعة للحالة التي ينبغي أن تكون عليها الناشئة بعد فترة زمنية محددة على ضوء المتاح والممكن من الموارد المادية والطاقات البشرية.

وعليه، فتوقيًا مما قد يحدثه من القسوة والعنف الذي تضج به وسائل الإعلام الجديد اليوم، وتتفوق على المناهج الدراسية في استقطاب الشباب المسلم إلى توجهات وتنظيمات، بوعي أو بغير وعي، والتي لا صلة لها بقيمة الرحمة التي هي من أهم القيم المركزية الإسلامية، أقول

(١) دليل التأهيل بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين (مسلك التعليم الثانوي الإعدادي – التربية الإسلامية أنموذجًا). ص ٤٦

توقيًا من كل ذلك، الانتقال من التصورات النظرية والأصول الكلية إلى التخطيط الاستراتيجي العملي لتأسيس جيل الرحمة، إن لم نقل أجيال الرحمة المستقبلية التي تجعل من دين الرحمة ملاذًا خلقيًا وتربويًا وحضاريًا للناس كافة، وذلك وفق الاقتراحات التالية حسبما توصلت إليه بعد التأمل والدراسة[1]:

أولًا: التنصيص على مركزية قيمة الرحمة في منظومة القيم المراد بثها في الناشئة[2]:

سواء في الاختيارات الكبرى أو الأهداف العامة للمناهج والبرامج الدراسية، أو في أساليب تكوين الأطر التربوية في كليات التربوية أو مراكز التأهيل حسب اختيارات كل دولة، أو مفردات المقررات الدراسية الموجهة للناشئة، أو الأنشطة المدرسية المقدمة للناشئة

ثانيًا: التخطيط لاستثمار أنشطة الحياة المدرسية في بث قيم الرحمة والتعاطف:

سواء في فضاءات التعلم وساحات اللعب، أو المجالات البصرية للمتعلمين بتسمية مؤسسات أو قاعات الدرس أو مسجد المؤسسة بمشتقات الرحمة وما في مجالاتها الدلالية: اللطف والتيسير والتعاطف والتواد، أو بملصقات دائمة ومؤقتة مذكرة بهذه القيمة، وكذا في المجال السمعي للمتعلمين

(١) اشتغلت في ميدان التربية والتعليم أستاذًا لمادة التربية الإسلامية حوالي ٢٦ سنة، والآن أستاذا للتعليم العالي بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين المخصص لتكوين الأساتذة

(٢) أغلب الدول العربية تنص على ضرورة ملاءمة الاختيارات الكبرى للشريعة الإسلامية، لكن في التنزيل يبقى الأمر عامًا، مثلًا الهدف العام الثامن في السعودية هو: " تطوير المناهج وفق القيم الإسلامية بما يؤدي إلى تكامل شخصية الطالب والطالبة وامتلاكهما المعارف ومهارات التفكير العلمي والمهارات الحيوية، وممارسة التعلم الذاتي والتعلم مدى الحياة" وفي المغرب ينص الميثاق الوطني للتربية والتكوين على أن: "يهتدي نظام التربية والتكوين للمملكة المغربية بمبادئ العقيدة الإسلامية وقيمها الرامية لتكون المواطن المتصف بالاستقامة والصلاح، المتسم بالاعتدال والتسامح، الشغوف بطلب العلم والمعرفة، في أرحب آفاقهما، والمتوقد للاطلاع والإبداع، والمطبوع بروح المبادرة الإيجابية والإنتاج النافع."

من نصوص مختارة وأناشيد معينة، وأصوات جميلة... وقد تكون هذه الأنشطة مرتبطة بالمحيط المدرسي كزيارة المستشفيات، وتقديم المساعدات للمحتاجين، والسعي لإدماج ذوي الاحتياجات الخاصة في الحياة المدرسية بشكل إيجابي.

ثالثًا: التخطيط لدورات تدريبية على قيم الرحمة:

لصالح المديرين ورؤساء المؤسسات التربوية: من حيث أساليب التواصل مع الأطر التعليمية من جهة، ومع عموم المتعلمين من جهة ثانية، مع الآباء وجمعيات المجتمع المدني من جهة ثالثة، من خلال الاطلاع الضروري على مفهوم الرحمة في الإسلام وأثرها في بناء الإنسان المسلم.

رابعًا: التدرج بأساليب بث خلق الرحمة في الناشئة بحسب مراحل التعلم، من الروض فالابتدائي والإعدادي، ثم الثانوي والجامعي من خلال:

- التخطيط لحسن استقبال الواردين الصغار الجدد على مؤسسات التربية والتعليم
- التخطيط لتوفير الحضن الدافئ للمتعلمين في شخص المربين والمربيات من احتضان رؤوف، وابتسامة حانية، وخفض للجناح، وملاعبة هادفة.
- التخطيط للارتقاء بالمتعلمين من مجرد متلقين لمؤثرات سلوكية وتعلمية مبنية على الرحمة إلى شخصيات حاملة لخلق الرحمة من خلال آداب الدخول إلى البيت بعد نهاية الحصص الدراسية وحسن معاملة الأقارب والجيران والمحتاجين من أفراد المجتمع، إلى مدافعين عن خلق الرحمة في كل المجالات المعرفية المتاحة في المراحل العليا

للتعليم كالجامعات والمعاهد العليا وخيرها، وهناك مواد تتماشى بطبيعتها مع خلق الرحمة كالتربية الإسلامية والطب وعلوم الاجتماع وأخرى تحتاج إلى مزيد من تسليط الضوء على معاني الرحمة فيها ...

خامسًا: استثمار تكنولوجيا الإعلام الجديد في بث خلق الرحمة في الناشئة:

لعل أمضى سلاح معرفي وتربوي وسلوكي اليوم، هو ما فتح الله ﷻ على البشرية من سرعة في الاتصال والتواصل، وعولمة القيم والمبادئ، وقوة التأثير وسهولته، مما يتطلب بذل جهود مضاعفة من أجل بث معارف الرحمة وأخلاقيات الرحمة وسلوكيات الرحمة ونماذج الرحمة للناس كافة، وللناشئة على وجه الخصوص، وذلك بالتخطيط للمواقع وصفحات التواصل الاجتماعي وغيرها لنشر قيم الرحمة في صفوف الجميع.

المعلم الثاني
في تدبير أو تنفيذ المناهج الدراسية

التدبير هو الإشراف على سير عمليات تنفيذ التخطيط التربوي وضبط مسار هذه العمليات وتصحيحه إن اقتضى الحال قبل الوصول إلى مرحلة التقويم النهائي[1].

ويشمل التدبير عملية تنزيل التخطيط على مستوى فضاءات التربية والتعليم، وزمنه، والاشتغال التربوي من حيث الطرائق التربوية وتقنيات التنشيط والوسائل التعليمية المستعملة. كل ذلك ينبغي أن يصطبغ بصبغة الرحمة باعتبارها قيمة مركزية في المنظومة التربوية.

(١) عبدالكريم غريب المنهل التربوي ج١ ص ٤٧٢ بتصرف مطبعة النجاح

١. على مستوى فضاءات التعلم:

لفضاءات التربية والتعليم أثر بالغ في بناء شخصية الناشئة حيث أن: «ظهور مشاعر القلق والعدوانية والسلبية لدى الأفراد يتولد حينما يتم فرض المكان بكل أشيائه وتنظيمه الداخلي على الأفراد المتواجدين فيه... لذلك كلما كان إحساسهم بهذا الفضاء عميقًا وحميميًا، كلما قلت مشاعر القلق والخوف وسلوكات عدم التكيف»[١]. نمسك من هذه الدراسة أن فضاءات التربية والتعلم مجال قمين ببث قيمة الرحمة أو العكس، لذا وجب أثناء الممارسة العملية لتربية الناشئة أن تكون الفضاءات موحية بأجواء المحبة والتراحم والتعاون، وليس عبثًا أن ربط رسول الله ﷺ الرحمة بمجالس القرآن والعلم والذكر، وآثار ذلك على المسلم في الدنيا والآخرة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه»[٢]. أجواء هذا الفضاء الإيماني العلمي هي الرحمة بعينها، فيلزم أن تكون كل الفضاءات التربوية أثناء تنزيل البرامج ذات جو رحيم تبرز ثمرته في كافة أوصال المجتمع، خاصة قاعات الدرس حيث يقضي المتعلم أغلب زمنه التعلمي، وهذا يتطلب من المدرس ابتكار

(١) عبدالحق منصف. رهانات البيداغوجيا المعاصرة- دراسة في قضايا التعلم والثقافة المدرسية ص ٤٩

(٢) صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر. حديث: ٤٩٧٣

أشكال جديدة غير النظام التقليدي للصف الدراسي بالشكل الذي يعطي للعملية التربوية حيوية جديدة تجعل مشاركة المتعلم فيها تفاعلية كأسلوب العمل بالمجموعات، ونظام التجمع على شكل حرف «ن»، وغير ذلك من الأساليب المبتكرة في التعلم مما يضفي على العملية يسرا ورفقًا، وكل ذلك من معاني الرحمة المطلوبة في كل تجمع ذي بال ومنه التجمع للتعلم.

٢. على مستوى تدبير زمن التعلم:

يقصد بزمن التعلم تلك الساعات والدقائق والثواني التي يقضيها المتعلم في الفضاءات التربوية، بكافة أنشطتها وتعلماتها، وبحسب حسن تدبير تلك اللحظات التعلمية تكون رحمة على الناشئة أو نقمة عليهم. وإذا كان تخطيط التعلمات مرتبطًا بحسن التوزيع للمهمات التربوية، فإن تدبير زمن التعلمات يقتضي الفعالية والنجاعة في جعل الزمن الدراسي زمن رحمة، بحيث لا يشبع منه المتعلمون ولا يرغبون عنه، بل ويساهم بفعالية في محاربة التسرب الدراسي الذي تعاني منه المدرسة العربية والإسلامية، ولقد رأينا كيف كان رسول الله ﷺ يخصص أوقاتًا لملاعبة الحسن والحسين رضي الله عنهما، وكيف كان الصحابة رضي الله عنهم يحببون لأبنائهم المكوث في مجالس العلم والذكر، كل ذلك في سياق متناغم مع الأهداف الكبرى للمنظومة التربوية.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن مواقيت استمطار رحمة الله تعالى ينبغي أن يحظى بالاهتمام البالغ من قبل المدرسين والمشرفين التربويين كأوقات الصلاة، وأوقات أذكار المناسبات، وآداب التحية والسلام، وزيارة المريض، وغير ذلك من الأوقات الفاضلة التي يتعلمها النشء في فضاءات التعلم، لتسري في باقي مكونات المجتمع.

٣. على مستوى تدبير الاشتغال التربوي:

يشمل تدبير الاشتغال التربوي كلًا من الطرائق التربوية والوسائل

التعليمية وتقنيات التنشيط التربوي، وكلها أدوات لغرس معاني الرحمة في نفوس الناشئة

- الطرائق التربوية: ينوع المربي بين الطريقة الإلقائية عند الحكي والرواية، والطريقة الحوارية حين يروم استكشاف تمثلات المتعلمين حول قضية ما، إما بغرض تحبيبهم فيها أو تنفيرهم منها بحسب الهدف المرسوم من العملية. والطريقة المتسمة بالرحمة والتحبب والرفق مع الجدية والحزم والقصد هي أكثر الطرق نجاحًا في تحقيق الأهداف المرسومة.
- الوسائل التعليمية: أي: الأدوات المساعدة على اكتساب المعارف وبث القيم واتخاذ المواقف، وقد تكون هذه الوسائل بصرية أو سمعية أو سمعية بصرية، تحمل ضمن ما تحمله لنفس المتعلم رسائل الرحمة والمحبة، لذلك من مسؤوليات المدرسين وواضعي البرامج اختيار الوسائل الأنجع لتحقيق هذا الهدف خاصة في زمن أصبحت فيه الوسيلة السمعية البصرية مضاهية لغة التعلم، بل ومتفوقة عليها، فصياغة معاني الرحمة عن طريق الوسائل الفعالة من شأنه أن ينتج لنا جيل الرحماء بمن في الأرض، وييسر لنا استجلاب رحمة من في السماء، ولقد كان ﷺ يستعمل وسائل الرسوم وضرب المثل وغيرها في تعليم الناس وهدايتهم.
- تقنيات التنشيط: هي الأساليب القادرة على إحداث أكبر قدر من التفاعل الإيجابي لمجموعة المتربين في كافة مراحل التربية والتعليم. ولقد رأينا في أصول منهج الرحمة في تربية النشء أن الرسول ﷺ نوع في ذلك تنويعًا كبيرًا، يجعل المتعلم مشدودًا إليه، متمثلًا بعمق لما يتلقاه.

لذلك إضفاء معاني الرحمة على هذه التقنيات من شأنه أن ينقل العملية التربوية التعليمية من الخطاب الفوقي الأحادي إلى الخطاب التشاركي الاندماجي، حتى إن الصحابي الجليل الذي بال في المسجد وكادت تعصف به يد البعض، وجد في الرحمة النبوية سعة وتيسيرًا ورفقًا فقال: «اللهم ارحمني وارحم محمدًا ولا ترحم بعدنا أحدا»[1].

المعلم الثالث
في التقويم والدعم التربويين

١. في التقويم:

التقويم عملية تفحص للممارسة التربوية للتأكد من تحقق الأهداف المخطط لها، واستكشاف مكامن القوة أو الضعف، الأول من أجل الحفز والتطوير والثانية من أجل الدعم والمعالجة.

فكثيرًا ما نخطط لبث معاني الرحمة في نفوس المتعلمين وندبر ذلك في التعلمات، لكن إذا تركنا الأمر دون تقويم فكأننا لم نفعل شيئًا، لذلك وجب رصد آثار رسوخ معاني الرحمة في سلوك المتعلمين وعدمه من خلال أنواع التقويم المعروفة؛ التشخيصي والتكويني والنهائي. يساعدنا ذلك على تقويم أداء المتعلمين والمدرسين، وعلى نجاعة المناهج والبرامج، وعلى صلاحية الاختيارات الكبرى للتربية في علاقتها بقيمة الرحمة باعتبارها قيمة مركزية في بناء أجيال المستقبل.

٢. في الدعم

الدعم هو الإسناد والمعاونة من الناحية اللغوية، ومن حيث الاصطلاح

(١) صحيح ابن حبان.كتاب الرقائق، باب الأدعية - ذكر الزجر عن سؤال العبد ربه ألا يرحم معه غيره. حديث: ٩٩١

هو خطة تربوية تمكن من التعرف على مواطن الضعف لدى المتعلم تلي عملية التقويم، وتمكن من اتخاذ التدبير اللازمة لتدارك النقص[1].

بناء على هذا البيان لمعنى الدعم، وبناء على معطيات التقويم، قد يكتشف المربون بعض معالم القسوة والعنف في سلوكات المتعلمين، مما يضطرهم لوضع الخطط الدعمية لإصلاح الخلل الذي قد ينتقل من المؤسسة التربوية إلى المجتمع، إلى صياغة أنظار فكرية وتصورية مبنية على نواقض الرحمة، وهذا خطر جسيم وجب الاحتراز من جميع مقدماته الأولية في كل مراحل التربية والتعليم.

(١) عبدالكريم غريب. المنهل التربوي. ٢/ص ٨٦٥ بتصرف

الخاتمة

من خلال هذه الجولة البحثية في أصول منهج الرحمة في التربية النبوية، ومن خلال مقترحات في معالم هندسة بيداغوجية في بث هذه القيمة في المنظومة التربوية، نرى ضرورة مزيد من العناية بالموضوع من خلال التوصيات التالية:

١. الإكثار من الدراسات المدققة في أثر قيمة "الرحمة" في المنظومة الإسلامية على جميع المستويات التربوية والتعليمية والدعوية والقانونية والقضائية والنفسية والاجتماعية وغيرها.

٢. توجيه عناية مراكز الدراسات وكليات التربية ومعاهد تأهيل المدرسين والمدرسات لتأسيس فرق عمل بحوث ودراسات ميدانية للنظر في تفاصيل المناهج الدراسية، ورصد مواطن إمكانيات إدراج منهج الرحمة من خلالها.

٣. التنسيق بين المدرسين من جهة والمشرفين على تأهيلهم من جهة ثانية، والأطباء النفسيين من جهة ثالثة لوضع هندسة تربوية مبنية على الرحمة في الصحة النفسية والسلامة التربوية والجودة التعليمية للناشئة.

٤. تأهيل آباء وأولياء أمور التلاميذ بتنبيههم إلى أهمية الرحمة في المراحل الأولى لتربية الأطفال، من خلال دورات تكوينية وتدريبية في الموضوع.

٥. تأسيس مراكز التواصل المعلوماتي باستعمال تكنولوجيا الاتصال والمعلومات لبث قيم الرحمة في المجتمعات.

٦. الإسهام في المشاريع العالمية التي تعنى بأثر الرحمة في إسعاد البشرية وإنقاذها من تداعيات القسوة والعنف والكراهية السائدة اليوم، وذلك من خلال المواثيق الدولية التي تهتم بشؤن وحقوق الإنسان والتربية والطفل والمرأة، من أجل حفز الدول والحكومات على بث ذلك في برامجها.

٧. العناية بالخطاب الدعوي المؤسَّس على منهج الرحمة النبوية، من خلال تأهيل الدعاة والأئمة والخطباء وتدريبهم على بث قيم الرحمة لدى رواد المساجد.

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. ابن منظور. لسان العرب
٣. أحمد بن حنبل.. مسند الإمام أحمد.
٤. البخاري... الجامع الصحيح، وكذا فتح الباري في شرح صحيح البخاري.
٥. البخاري، الأدب المفرد
٦. مسلم... صحيح الإمام مسلم بشرح النووي
٧. الترمذي. سنن الترمذي
٨. أبوداود .... سنن أبي داود
٩. الحاكم... المستدرك على الصحيحين.
١٠. محمد ناصر الألباني السلسلة الصحيحة
١١. محمد ناصر الألباني تمام المنة في التعليق على فقه السنة
١٢. محمد ناصر الألباني صحيح الأدب المفرد
١٣. ابن ماجه.. سنن ابن ماجه
١٤. ابن حبان... صحيح ابن حبان
١٥. ابن أبي شيبة. مصنف ابن أبي شيبة.
١٦. ابن هشام. سيرة ابن هشام.
١٧. عبدالرزاق الصنعاني. مصنف عبدالرزاق الصنعاني
١٨. الطبراني. المعجم الكبير، المعجم الأوسط
١٩. البيهقي. السنن الكبرى
٢٠. الطيالسي مسند البيهقي شعب الإيمان
٢١. أبو نعيم. معرفة الصحابة.

٢٢. ابن سعد. الطبقات الكبرى
٢٣. الخطيب البغدادي. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع.
٢٤. ابن عبدالبر جامع بيان العلم وفضله
٢٥. ابن كثير.. البداية والنهاية
٢٦. ابن القيم. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان
٢٧. ابن القيم. إعلام الموقعين
٢٨. ابن القيم. تحفة المودود بأحكام المولود..
٢٩. الزنتاني عبدالحميد الصيد. فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة.
٣٠. عبدالله بن جار الله جار الله أسباب الرحمة
٣١. محمد حسام الدين الخطيب هل كان محمد ﷺ رحيمًا؟
٣٢. سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية.
٣٣. عبدالفتاح أبو غدة. الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم ط١
٣٤. مجموعة من الأساتذة المتدربين تحت إشراف الدكتور عبدالحفيظ الملوكي مدير المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين مراكش دليل التأهيل بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين (مسلك التعليم الثانوي الإعدادي - التربية الإسلامية أنموذجًا.
٣٥. عبدالكريم غريب. المنهل التربوي ج١ ص٤٧٢ بتصرف مطبعة النجاح
٣٦. عبدالحق منصف. رهانات البيداغوجيا المعاصرة- دراسة في قضايا التعلم والثقافة المدرسية
٣٧. جلال الدين السيوطي جزء فيه طرف حديث: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» ضبط علي حسن علي عبدالحميد